

دور الكنائس المحلية في خطّة الرب لخلاص المسلمين

فرانكس خير الله

obeikandi.com

أعتقد اعتقاداً راسخاً بأننا إذا أردنا أن نكسب الباكستان إلى ربنا عيسى المسيح فإن ذلك يمكن وسوف يتم من خلال الكنيسة الباكستانية .

إن المساعدات المقدمة من الكنائس الخارجية على شكل أموال وموظفين وخبرة ربما كان لها فائدة كبيرة ولكن في نهاية الأمر فإن تنصير أهل البلاد سوف يتم بصورة أساسية من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية، ويتم بعد ذلك تشكيل جالية محلية نصرانية قوية ولعل المفتاح إلى هذا هو «جماعة المؤمنين» التي يضطلع أفرادها بالمهمة التنصيرية في كل بلد، ولا يمكنني أن أعبر عن هذه الفكرة بأفضل مما فعل الأسقف حسن دهقاني ناقتي ولخصها في الفقرات الأخيرة من سيره حياته الذاتية بعنوان: خطة عالمي الخاص:

لا تستطيع الكلمات وحدها دفع المسلمين إلى أعتاب الصليب، ولا يجعل أى قدر من التفسير المجرد المسلمين يحسون إحساس أولئك الذين كانوا مع المسيح في القارب «فسجدوا له... وقالوا: بالحقيقة أنت ابن الرب» (متى ١٤ : ٣٣)، إن على النصارى أن يثبتوا في حياتهم وسلوكهم كيف أن النصرانية هي في الحقيقة تجسيد لمحبة الرب، إن معظم المسلمين الذين أعرفهم ممن اتبعوا المسيح واتبعوا النصرانية فعلوا ذلك بسبب حياة التضحية والمحبة الخالصة التي شملهم بها بعض الأصدقاء النصارى، ولن يتم تنصير المسلم إذا لم نبادر إلى محبته شخصياً... ويبقى بعدئذ الكثير، فما من أحد مهما كان قديساً يستطيع أن يعكس محبة الرب في المسيح كاملة، إن تفسير ذلك يتطلب مشاركة مجتمع المؤمنين أى أبناء الرب، إن الكنائس سواء كانت اثنتين أم ثلاثة تجتمع معاً باسم الرب وهذا هو جوهر الموضوع، إن دورهم عظيم جداً خاصة عندما يكون تجمعهم في وسط عالم ساد الإسلام لقرون عديدة^(١)!

و فقط عندما ندرك نحن الباكستانيين دورنا المتعظم في تنفيذ المهمة العظيمة حينئذ سنبدأ الاتصال بصورة فعالة بإخواننا المسلمين، إن الاتصال يعنى المشاركة،

(1) Dehqani - Tafti, Hassan, pp. 79 - 80.

وهذا هو أصل معنى الكلمة، والمشاركة هي أكثر من العطاء، إنها تعنى العطاء والأخذ معاً، كيف يتسنى لنا أن نعطي إخواننا المسلمين رسالة الخلاص إذا لم نحاول أن نفهم تفكيرهم وموقفهم إزاء الحياة والعقيدة التي يؤمنون بها؟ إذن يتعين على كل واعظ نصراني بين المسلمين أن تكون له معرفة كبيرة بمعتقداتهم وشعائرتهم وآمالهم وطموحاتهم... إنني معجب بالكلمة الإنجليزية، فهناك ثمة شعور بالألم بين طيات هذه الكلمة وشوقاً لتبليغ الرسالة ورؤية المرء لأخيه آمناً ومتصالحاً مثل النبي يوسف مع أخيه بنيامين: «لأن أحشاه حنت إلى أخيه...» (التكوين ٤٣-٣٠) وما لم يكن في قلوبنا هذا التشوق فلن نتمكن من تبليغ الكتاب المقدس ونشر رسالته «ويا ويلنا إن لم نفعل».

ولكن يبدو أن الكنيسة الباكستانية ليس لديها اهتمام بإخوتها المسلمين، لقد كان لنا اجتماع غير رسمي مؤخراً مع بعض المهتمين بتنصير المسلمين والذي حضره باكستانيون أيضاً، وكان الموضوع المطروح للبحث هو كيفية مساعدة المنتصرين الجدد ليصبحوا جزءاً من الكنيسة، واقترح أن تكون هناك في البداية علاقة صداقة وزمالة مع المسلمين المنتصرين الآخرين ومع المتعاطفين في سبيل خطوة تمهيدية، وأعرب أحد الباكستانيين عن تخوفه من أن يؤدي ذلك إلى أن يكون لدى المنتصر شعور مفرط بالعظمة ويجب توخي الحذر بشأن ذلك.

هذا الرأي يتفق تماماً مع الموقف عند رؤساء الكنيسة، إن هناك عدم استعداد لمشاركة الأخبار السارة للإنجيل مع جيراننا الذين نعتبرهم «بصورة لا شعورية أعداء» لنا، إن معظم النصاري لديهم كراهية للمسلمين ونحتاج - وبرحمة الرب - إلى التغلب عليها، ولكن لماذا كل ذلك؟ لقد نشأت الكنيسة في تلك البلاد قبل قرن من الزمان، واستقطبت جماعات تنتمي معظمها إلى الطوائف الدنيا الهندوسية، وكانت الثقافة الفرعية التي كونتها الكنيسة خلال تلك الفترة في أغلبها ذات طابع هندوسي في أسلوب العبادة والموسيقى الدينية والعادات الاجتماعية واللغة التي تأثرت كثيراً بالهندوسية، أوردنا مثلاً هاماً على مثل هذا التأثير بالممارسات الهندوسية نأخذ من العشاء الرباني للكنيسة الإنكليكانية والتي تعتبر متشددة في قضية إدخال تعديل أو تغيير في طقوس العبادة: لاحظوا في كتاب

العبادة المشتركة^(١) ترتيب مراسيم «احتفال الزواج» حيث تتم المانكاالاسوترا وهى عادة دينية هندوسية لتقديم قلادة زواج بدلاً من -أو بالإضافة إلى- العادة الغربية بتقديم «خاتم»^(٢).

وكانت تلك العادات مقبولة قبل إنشاء دولة باكستان وحينما كان هناك خليط من السكان الهندوس والمسلمين، والآن وفي الوضع الراهن قد تغيرت الأمور وتبدلت وعلى الكنيسة أن تتلاءم مع الوضع الجديد.

وهذا التغيير ضرورى ليس لأسباب تنصيرية فحسب ولكن لأسباب قومية وهذه نقطة جوهرية علينا أن نضعها نصب أعيننا، نحن الباكستانيين لننا استقلالنا قبل أكثر من ٣٠ عاماً، ولا نزال نناضل لحل بعض المشكلات التى تتداخل فيها اللغة والثقافة والدين، فمم تتألف «قوميتنا»؟ وما هويتنا؟ وما نوع الحكومة المناسبة لباكستان؟ هذه هى بعض القضايا التى تسبب المشكلات وتحتاج لحلول سريعة، إن العواطف القومية تفسد أحياناً تفكيرنا، وبما أننا قد اخترنا أن نكون باكستانيين فإن واجبنا النصرانى يقضى علينا مجابهة هذه المشكلات والتعاون مع أهل بلادنا لحلها.

والواقع أن سكان باكستان هم مزيج من الثقافات الهندوسية والإسلامية، فقد كان بعض المسلمين فى القرون الماضية هندوس كما أن كثيراً من عاداتنا الاجتماعية ترجع إلى أصول هندوسية، وحتى لغتنا القومية الأردية تشير إلى هذه الثنائية، فنظام بناء الجملة مستمد من النحو الهندى وكذلك على الضمائر والحروف بما فيها الجر والعطف، وكان علينا كى نثبت انتماءنا الإسلامى ونبعد عن الانتماء الهندى أن نتجه ثقافياً ولغويًا «لتعريب» و«فرسنة» ألفاظنا ونبتعد عن الألفاظ السانسكريتية والهندية، وهناك جهود معتمدة للابتعاد عن كل آثار الثقافة الهندوسية بل عن كل ما هو هندى، وخير مثال على ذلك عندما عرض التلفزيون الهندى الذى تصل برامجه إلى باكستان برامج فيها رقصات وأغان شعبية ذات طابع باكستانى -هندى ثارت الصحف الباكستانية على البرامج ودعت المشاهدين فى باكستان إلى مقاطعة

(1) The Book of Common Prayer.

(2) Dehqani - Tafti. p. 640.

تلك البرامج واعتبرتها «غزواً ثقافياً» للباكستان، ولنذكر أن ٩٧٪ من سكان الباكستان مسلمون، وقد أصبحوا نتيجة كفاحهم ونضالهم مدركين لثقافتهم وحريصين على التمسك بها، وعلينا نحن النصارى فى مثل هذا الوضع أن نساعد فى حل مشاكلهم والتي هى مشاكلنا أيضاً بدلاً من زيادة حداثتها، إن كثيراً من إخواننا الذين يعملون فى مجال التنصير ينظرون إلى هذه النقطة من زاوية صحيحة، وعلى الكنيسة المهتمة بتنصير المسلمين أن تجعل كل الجهود التى تقوم بها منسجمة مع المحيط الثقافى الذى تعمل فيه وأن تشارك الطموحات المشروعة للسكان المحليين.

ولكن بدلاً من هذا النمو الصحى الطبيعى أصبحنا منغلقيين على أنفسنا ومهتمين بالمحافظة على ثقافتنا الهجينة أكثر من اتصالاتنا بإخوتنا المسلمين وتعريفهم بالإنجيل بجرأة، وفى كنيستنا الحالية الهندوسية الأصل وذات الطابع الغربى الزائف لا يحس المنتصر المسلم بالانتماء الطبيعى أبداً، ولكن من الذى يهتم؟

إن الرب بالتأكيد يهتم بهذا الأمر ولكننا نحن الذين نعمل أدوات له لتقديم هذه الرعاية لسنا مستعدين لذلك تماماً، ولن يحدث هذا إلا إذا جددت الكنيسة، فالكنيسة يمكنها أن تقوم بدورها فى خطة التخليص الإلهية عندما تقوم أولاً بخلاص نفسها، فما هى الصورة التى قدمتها الكنيسة إلى أهل البلاد؟ حتماً سوف يقول العديد «انظروا كيف يكره النصارى بعضهم بعضاً، ويهرعون إلى المحاكم ليقدموا دعاواهم الفارغة التى لا تنتهى أبداً»، وهناك أيضاً انقسامات فى الكنيسة حول الأملاك والمكاتب وتشجع هذه الانقسامات الأموال الأجنبية والجدل «اللاهوتى» العقيم الذى لا يمت إلى حياتنا هنا بصلة، لا شك بأن لإخواننا الأوربيين والأمريكيين العاملين فى حقل التنصير مسؤوليات عظيمة إزاء هذا الموقف، ولكن يا ترى هل ساعدونا لكى نتقدم ونتطور طبيعياً ونكون معتمدين على أنفسنا أم أنهم فرضوا علينا بصورة لا شعورية آراءهم؟ هل هناك تعاون حقيقى فى «مجال التنصير» بين الكنائس الأم والكنائس الصغرى التابعة لها؟ وهل تشترك هذه الكنائس معاً فى عمل تنصيرى وفقاً للجزئين السابع والثامن من معاهدة لوزان؟

إننى أتفق تماماً مع الأسقف ستيفن نيل فى ملاحظته التى أوردتها فى كتابه على الرغم من أنه لم يشاهد الدلائل المشجعة بنفسه فى الباكستان، كتب نيل يقول:

لا تزال هذه الكنائس الصغرى تقليدية فى نصرانيتها وكثيرة الاعتماد على الآراء والأفكار الغربية إلا أن ثمة دلائل مشجعة تشير إلى أن الكنائس فى كل من المناطق الكبرى بدأت تصبح محلية بصورة أصيلة إن لم تضى على فهمها للنصرانية سمات خاصة بها وليست مستمدة من التجربة الغربية، وهذه العملية ستمكن كل كنيسة من أن تصبح كنيسة موجودة بأصالة فى البلاد التى كتب لها أن تكون روحاً لها وتجعل فى الكنيسة العالمية كنزاً يمكن لكل الأمم أن تنميه من ميراثها الخاص بها⁽¹⁾.

لقد حاولت بعض المنظمات ذات النوايا الطيبة المرتبطة بالكنيسة فى حماسة ظاهرة أن تقوم بحملة تنصيرية فى الباكستان بأسلوب كان ناجحاً جداً من قبل فى بعض المدن الكبرى فى الولايات، واستخدمت تلك المنظمات نفس الأساليب ونفس الأدوات والمعدات الإلكترونية ونفس النصوص مترجمة إلى الأردية وأنفقت أموالاً طائلة فى تلك الحملة، ولكن القائمين على الحملة لم يدركوا الضرر الذى أحدثوه دون أن يحققوا نتائج تذكر ولا ننسى أن ما يفيد بعض الناس قد يضر ضرراً كبيراً بالآخرين.

لنضرب مثلاً آخر يبين كيف تضيق الجهود هباءً منثوراً إذا لم يتم التعاون والتشاور بين أصحاب الحملة الأجانب والكنائس المحلية فى البلاد، كانت قد بدأت حملة لتوزيع الكتب المقدسة من مدينة ويتون فى ولاية إيلينويز الأمريكية، وأرسل بالبريد إلى كل من كان مسجلاً فى دليل الهاتف فى بعض المدن الباكستانية نسخة من العهد الجديد باللغة الأردية، ولما كانت بعض العناوين قد تغيرت أثناء الإرسال رفض بعض الناس استلام هذه المطبوعات النصرانية فقد تكدست أطنان منها فى مكتب البريد وتم التخلص منها ببيعها بالزاد «كأوراق مهملة» واكتشف بعضنا ذلك عندما ابتاع سلعاً كانت موضوعة بأكياس مصنوعة من صفحات

(1) Christian Faith Today, 1956.

الإنجيل، وسيشعر حتماً أى فرد تعرف على ثقافتنا ومجتمعنا بالرعب والدهشة البالغة بسبب الاحترام الذى تحظى به الكتب المقدسة فى الشرق سواء أكانت نسخ القرآن أم الإنجيل، ولكم أن تتصوروا مبلغ الغم الذى أصاب أصدقائنا من المسلمين الذين لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا تم تدنيس حرمة كتابنا المقدس بهذا الشكل من قبل الأمريكيين.

وقد نبا إلى علمى أن جمعية الكتاب المقدس الباكستانية قد قدمت احتجاجاً للذين قاموا بالحملة ولكن هؤلاء أخبروا الجمعية بأنه قد وصلتهم بعض الخطابات من الباكستان تقيم وتثمن عملهم هذا، ولكن لم يخبرونا حتى الآن كم كان عدد هذه الخطابات وهذا هو نوع المواقف التى تفرض علينا جميعاً أن نجرى تقييماً شاملاً باستمرار لنشاطنا وفعاليتنا على أنه جزء من تعاون الكنيسة العالمية مع الكنائس المحلية.

إن نوعية الحياة النصرانية فى الكنيسة العالمية بالغة الأهمية فى العمل التنصيرى وهذا ما لاحظناه فى وقت مبكر، ويتعين علينا كذلك أن يكون لدينا استعداد فكرى للعمل بين المسلمين، ويمكن لمعاهدنا اللاهوتية أن تقوم بذلك، إننا بحاجة إلى مراجعة مناهج معاهدنا اللاهوتية وتعديلها بحيث تتماشى مع متطلباتنا، وينبغى أن تكون دراسة الإسلام التقليدى وإسلام العوام إجبارية، وشرح وتفسير النصرانية إلى المسلمين بلغة وأشكال فكرية يسهل عليهم فهمها يجب أن تعطى دورة دراسية ويعهد بهذه المهمة إلى متخصص فى الإسلاميات يعرف المدارس الفكرية الشرقية- كالأزهر-، وبدلاً من أن نأخذ بالتعليمات كاملة من الكليات اللاهوتية الغربية يمكن للخبراء أن يساعدونا فى استنباط دورات دراسية ذات علاقة بماضيينا وحاضرنا تمتد جذورها إلى أعمال الرسل أو إلى فترة أو إلى أبعد من ذلك لأن الخلفية السامية للعهد القديم أكثر توافقاً مع ثقافتنا، إن دراسة اللاهوت الأوربى- الأمريكى ستكون أمراً ممتعاً ولكنه لن يمثل اهتمامنا الوحيد، وكانت هناك محاولات فى الماضى القريب فى الباكستان لإنشاء معاهد لاهوتية جديدة مهما كانت صغيرة فلماذا؟ لأننا نرغب فى أن نحافظ على الطائفة المذهبية الإنكليكانية واللوثرية والمشيخية، لقد آن الأوان لكى ننأى بأنفسنا عن ذلك وأن نظور اللاهوت

الخاص بنا والذي يرتبط بواقعة الذي يولده الصدام بيننا وبين الإسلام وكذلك فهمنا للإسلام والذي ربما يتطلب تغيير بعض آرائنا، إن اللاهوت لا يقرر عن طريق الجلوس في الكراسى الوثيرة التي يشغلها أناس دربوا كي يفكروا فقط وفق أنماط غريبة، فاللاهوت يولد في الحياة اليومية للناس حيث تتصارع الأفكار وتجتهد العقول للوصول إلى حل تحت إرشاد الروح القدس، وكان لدينا بواذر ميلاد لاهوت جديدة مثل هذا تقريباً، ولكن التاريخ غير اتجاهه وحدث أمر مختلف.

إذا تابعنا الأمر الأول نجد أن الغرب كان يكن منذ فترة طويلة عداً ضد الإسلام حتى بداية الحركة التنصيرية الإنجيلية في القرن التاسع عشر، ودخل الساحة منصورون عظام للعمل بين المسلمين ذاعت شهرتهم ولا زالت لأسمائهم أصداء تحمل وهج المجد والعظمة حتى اليوم، منهم هنري مارتن والأسقف فرنج وبفنادر وكاردنر وزويمر وآخرون عديدون، وأصدر هؤلاء مؤلفات قيمة وكسبوا إلى النصرانية الكثير من المتحولين، وبعض هؤلاء المنتصرين الجدد أنتجوا أدباً نصرانياً يجب على الكنيسة أن تحتفظ به إرثاً غنياً، وكانت تلك المؤلفات تتضمن تفسيرات وكتب لاهوتية أخرى مكتوبة بلغتنا القومية ألفها رجال منا من أمثال دكتور عماد الدين إضافة إلى أعمال علمية بأسلوب شرقي، وقد أعد أحمد فهرس أبجدى للقرآن، كما لا يزال قاموس الإسلام الذي أعده هيوز متوفراً في طبعته الثانية التي أصدرها ناشر باكستاني، ولكن شيئاً ما حدث واختفت كل تلك الأعمال القيمة وأسدل الستار على ذلك الإنجاز الرائع وسرق عمل آخر في هذا العصر الأضواء منه، وهذه ظاهرة مستمرة حيث يترك العمل الممتاز الذي تم بين المسلمين ويهمل ويتم تجاهله تماماً.

إنني لا أتفق مع الجمعية الأمريكية للتنصير فيما أسمته «حركة شعبية» وهو تعريف ملطف لتعبير «حركة جماهيرية»، إن أية «حركة شعبية» حقيقية تحدث تعبيراً عميقاً وعفويّاً في الناس جميعهم، وما حدث في كوريا الشمالية هو مثال أصيل لذلك، وقد أعطى روين اي شير وصفاً مشوقاً لذلك فكتب يقول:

إن هذه الحركة العظيمة باتجاه المسيح والتي رأيناها في محافظات بيونجان في الشمال الغربي لم تكن حركة جماهيرية بمعنى أن حشوداً قد تنصرت دفعة واحدة،

بل كانت استجابة إيمانية إلى الكتاب المقدس تتدفق بدون أى عائق من خلال العلاقات العائلية، الأب مثلاً أصبح نصرانياً ثم قاد زوجته وأبناءه وبناته وأهله الأقربين إلى الإيمان بأن المسيح هو جواب كل شيء، وتبع هذا التحول إلى النصرانية فترة تدريبية طويلة ثم قام هؤلاء المنتصرون الجدد بتنصير آخرين بنفس الأسلوب^(١).

وفي «الحركة النبوية» الكورية هذه لم يرتبط التنصير ببواعث خفية، والحركة التي نشأت في الهند وفيما يعرف الآن بباكستان لم تكن ظاهرة روحية خالصة (وبالطبع ليست هناك حركات روحية خالصة إلا نادراً) إلا أن بعض الدوافع كانت واضحة تماماً، علق يوجين ستوك في كتابه عن تاريخ جمعيات التنصير الكنيسية قائلاً^(٢):

لماذا أعلن مثل هؤلاء الناس عن رغبتهم أن يصبحوا نصارى في نهاية المطاف؟ لأن النصرانية كانت تعنى بالنسبة إليهم ببساطة تقدماً في المستوى الاجتماعي، ولهذا تعرضت الكنيسة لنفس القدر من الكراهية والاحتقار الذين منى بهما النصارى من الهندوس وأتباع محمد^(٣).

وعندما طلب من القس باتمان من الجمعية التنصيرية الكنيسية أن يرعى هؤلاء المنتصرين الجدد وصف العملية بأنها «تعميد غير متجانس» وكتب:

عندما قابلنا هؤلاء الناس ورأينا شهادات تعميدهم لم نجد فيهم ٥ أشخاص من كل ١٠٠ شخص يعرفون أى شيء يمكن أن يوصف بأنه نصراني على الرغم من أن بضعة مئات منهم يحضرون الكنيسة باستمرار، وكثيرون منهم يقولون إنهم أصبحوا نصارى ليحصلوا على الخلاص، ولكن إذا سئلوا ماذا يعنون بالخلاص لا يستطيعون أن يعطوا أية إجابة^(٤).

(1) Ibid., p. 233.

(2) Shearer, Roy E., **Wildfire Church Growth in Korea**, 1966, pp. 148- 149.

(3) **History of the Church Missionary Society**.

(4) Quoted in Frederick and Margaret Stock, **People Movements in the Punjab**, 1975, p. 240.

لعل من أهم الكتب التي أوصى بها العاملون في حقل التنصير هو الكتاب الذي ألفه فردريك وماركريت ستوك عن الحركات الشعبية في البنجاب .

لقد أتيج لى أن أقرأ الكتاب بعناية، وظهر لى أن جهوداً قيمة قد بذلت لإعداد الكتاب، كما أنه يعطى نصائح سليمة حول جملة من الأمور إنه كتاب لا شك قيم وأمين ولكننى لا أنصح به فى تنصير المسلمين، إذ أنه لا يتناول الأمور المتعلقة بالمسلمين إلا فى حوالى ٦ صفحات فقط، إلا أنه قد يعترض آخرون على وجهة نظرى ويرفضونها قائلين إن ما أشرت إليه لم يكن موضوع المؤلف أو الغرض من الكتاب، ومع ذلك فإن دكتور مكافرن يرى أن التجربة الأولى المحركة للكتاب قد بينت فى مقدمته فيقول:

إن كتاب «الحركة الشعبية فى البنجاب» كتاب جدير بالقراءة وضرورى للقادة النصارى المهتمين بحقل التنصير، وأوصى بتدريس هذا الكتاب فى كل الكليات النصرانية والمعاهد اللاهوتية فى شبه القارة الهندية كما أرى أن يدرس فى دورات الخاصة عن الإرساليات التنصيرية فى الوطن^(١) . . .

ويضيف دكتور وارين ويبستر المدير العام لجمعية الإرسالية التنصيرية المعمدانية الخارجية المحافظة فى تعريفه للكتاب فيقول:

يقدم (فردريك وماركريت ستوك) تحليلاً تاريخياً عميقاً لنمو الكنيسة فى باكستان حيث يشكل مليون من البروتستانت والكاثوليك أكثر الأقليات الدينية سرعة فى النمو من بين الأقليات، وقد ارتكزت الدراسة على سنين من المشاركة الشخصية، وتشير إلى الطريق نحو نمو مستمر لأولئك الذين يفهمون ما تقوله الروح للكنائس فى البنجاب اليوم^(٢) .

إننى أقدر كل ما قام به فردريك وماركريت ستوك، إلا أننى أحذر كل القراء وبخاصة المهتمين بالعمل التنصيرى بين المسلمين من أن باكستان لم تنضج بعد لحركة شعبية فى مجتمع الأغلبية، ويبدو أنه قد سطرت ملاحظة فى مقدمة الكتاب

(1) Ibid., p. 240.

(2) Ibid.

نفسه بأن الملايين يقرعون الأبواب من أجل التعليم إلا أن المؤلفين ركزوا على حركة جماهيرية أخرى في السند.

وجدنا بالتدريج أنظارنا تبتعد عن كفاح ومشاكل ٤, ١٪ من الذين يحملون اسم المسيح ويتركز على نحو ٦, ٩٨٪ الذين لم يمنحوه ولاءهم بعد، وبالتحديد اتجه اهتمامنا أكثر إلى أولئك المستعدين للحصاد الآن من الطبقات المنغلقة^(١).

إنني لست بصدد إدانة «الحركة الشعبية» وبالتأكيد إن يد الرب تحركها وينبغي لنا أن نهتم بما يقوله الروح للكنايس، ولكن عندما يدعم ذلك بالبحث العلمي الذي يعتمد على العقول الإلكترونية والوسائل الحديثة والإحصاءات فإنني أحس بأن توجيهات الروح القدس تعزل ويدفع بها إلى خارج العملية، وقد حذر الرب حتى نيقوديموس الذي كان أستاذاً للاهوت وعالمًا رائداً في عصره، «فالريح تهب حيث تشاء، فتسمع صوتها ولا تعرف من أين تجيء ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من يولد في الروح» (يوحنا ٣ : ٨).

إن ما يحدث في السند يروق كثيراً لعقلية جمعيات التنصير الأوربية لأنه يبرز نتائج ملموسة، والعاملون في حقل التنصير هناك بوسعهم أن يقدموا تقارير موسعة مدعمة بالحقائق والأرقام، ولكن لنذكر أننا في السند نتحدث عن نسبة ٩٨, ٠٪ فقط من إجمالي سكان باكستان، ولا ريب أنه إذا انضم هؤلاء الناس إلى الكنيسة فإن القوة العادية للكنيسة سوف تتضاعف، نعم إنه يتعين علينا كسبهم لصالح الرب إلا أن ذلك الأمر لا ينبغي أن يجعلنا نهمل العمل الذي يجب علينا القيام به بين الآخرين الذين يشكلون ٩٧٪ من سكان البلاد.

من المؤكد أن اهتمام المؤلفين وكثير من المنصرين الأجانب بعمل التنصير بين الطبقات المنغلقة أمر يستحق الثناء والاعتبار، إلا أن ذلك لا يجب أن يجعلهم ينتقدون الآخرين الذين لديهم عبء العمل بين جماعات غير سهلة الاستجابة، «لا تقل إن الجهد لا يحقق فائدة أو أن العمل والجروح لا طائل من ورائهما...».

(1) Ibid., p. xx.

إن النقطة التي أحاول توضيحها هي أن هذين الكاتبين لهما من قوة الأسلوب والإقناع ما يجعل هيئات الكنيسة ووكالاتها تتأثر بهذا الكتاب بالخطوط العريضة التي وضعناها تعد مصادر قوية من الموضوعات مثل نمو الكنيسة والأولويات التي قررناها، تأملوا مثلاً الفقرة التالية:

كيف يمكن للكنيسة أن تنمو؟ أين وكيف يمكن تحقيق التأثير والفعالية؟ لقد لاحظنا أن جهود الكنيسة الرامية إلى كسب أغلبية المجتمع قد حبطت، ولا تزال ثمة معوقات لاهوتية وثقافية واجتماعية ينبغي التغلب عليها، ونحتاج في ذلك إلى دراسة أساليب جديدة لتنصير المسلمين تقودنا إلى نتائج سريعة، ومع ذلك ينبغي ألا نغفل عن الدروس التي اقتضى الرب أن يتعلمها المنصرون الأوائل لسنين عديدة، علينا ألا ننظر باستمرار إلى «الأقوياء وأهل المقامات العالية» فقط، ولكن لنفتح عقولنا وقلوبنا إلى الضعفاء أصحاب المكانة الدنيا من أهل الطبقات المغلقة الذين أظهروا دلائل كثيرة على الجوع الروحي والاستجابات الكامنة وإذا كان الرب قد جعل أفئدتهم تهوى إلينا فمن نحن حتى نقول بأنهم قدرون وتفهمون؟ فلتتواضع جميعاً ولنحاول الوصول إليهم متبعين في ذلك المسيح الذي تواضع وأذل نفسه ابتداءً من نزوله عن عرشه في السماء حتى موته على الصليب من أجل أن يكسبنا»⁽¹⁾.

إنني لا أتفق مع ما ورد في النص أعلاه، فالزيادة العددية ليست هي خطة الرب الوحيدة، كما وأنتى وبكل قوة لا أتفق مع الفكرة التي أوردتها في الفصل ١٦ الذي أطلق عليه «مبادئ ضرورية لزراع الكنيسة اليوم» وخاصة الجزء الذي ورد تحت عنوان «عليك أن تقرر أن النمو العددي للكنيسة هو مشيئة الرب»⁽²⁾.

ربما يريد الرب منا أن نكسب مجموعة كاملة من البشر إلا أنه بالتأكيد لا يعيب أسلوب كسبنا الناس واحداً بعد الآخر، يوجد في أعمال الرسل حركة شعبية، ولكن متنصراً وحيداً هو الرسول بولس هو الذي غير التركيب الكلي للكنيسة الأولى، ويبدو أن المؤلفين ومجموعة المنصرين الأمريكيين يعتبرون بأن هذا الأسلوب أسلوب خاطئ:

(1) Ibid., p. 219.

(2) Ibid., p. 218.

كانت المأساة أن هذه السياسة الخاطئة قد اتبعتها كل إرسالية تنصيرية فى البنجاب وفى أجزاء كثيرة من الهند، وقد ركزت معظم الإرساليات التنصيرية على التنصير الفردى من الطبقات العليا من الطوائف الاجتماعية الهندوسية وذلك لسنوات عديدة، وهكذا ستظل هذه الإرساليات جامدة متوقفة عن النمو حتى تصبح مستعدة لاتباع خطة الرب التى هى أفضل... وأكثر مأساة من هذا هى النزعة إلى العودة إلى هذه الاستراتيجية غير المثمرة فى التنصير والفشل فى التعلم من الماضى إن أسلوب التنصير الفردى والذى يقود إلى الانفصال من الأسرة والمجتمع لا يمكن أن تنتج عنه كنيسة تنمو وتتضاعف كما أراد لها الرب⁽¹⁾.

وترجع بعض عيوب الكنيسة الحالية إلى نشأتها الأولى، وحتى إن المؤلفين على استعداد للاعتراف بأن الانقسامات الحالية فى الكنيسة تعود إلى نظام الطبقات المغلقة نفسه:

إن الانقسام والتحزب جزء أساسى فى النظام الطبقي الهندوسى ويؤثر على المجتمع فى شبه القارة الهندية، ووجوده فى الكنيسة لا يكشف كثيراً سلوكاً فرعياً نصرانياً بل يمثل صورة صادقة عن طريقة عمل المجتمع.

ولقد اكتشف أن هذا النوع من السلوك جزء من الميراث الاجتماعى للفرد ويؤكد ذلك جون سى هينريج فى كتابه⁽²⁾ وتساءل مؤرخون آخرون عن جدوى ما حدث فى الهند من خلال الحركة الجماهيرية، كتب آر فيلدر يقول:

... فى بلاد مثل الهند تنصر عدد قليل جداً من أفراد الطبقات الحاكمة أو الطبقات العليا الأخرى وقد يكون هذا أمراً طبيعياً يمكن تفسيره ولكن قادة الحركة التنصيرية الذين لديهم بعد نظر يرون أن أفضل أسلوب لتنصير شعب هو تنصير قادته الطبيعيين، وهنا كانت نظرة معظم المنصرين الضيقة هذه تمثل عائقاً⁽³⁾.

وعندما شكك يوجين ستوك فى الحكمة من وراء نوع خاص لحركة جماهيرية رد عليه المؤلفان بعنف:

(1) Ibid., p. 32.

(2) Ibid., 186.

(3) The Psychology of Suppressed People.

إنه من الممتع رؤية يوجين ستوك يساهم في مناقشة هذا الخطأ التنصيري، إن الافتراض الذي يقول إن الدعم المادى والمعنوى والاهتمام الأبوى الدافئ والحنانى الذى تقدمه إرسالية من الإرساليات لحفنة من المنتصرين فرداً فرداً وتجمعهم فى مكان واحد مجهز تجهيزاً كاملاً أمر طبيعى وصحى هو فى الحقيقة أكبر الأخطاء ضرراً وأكثرها خبثاً⁽¹⁾.

وأود أن يكتب أحدنا كتاباً يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، إن كتاب مركريت وفرديك ستوك قد قلل من قدر إنجازات المتحولين إلى النصرانية، إنهم يتحدثون عن الكنيسة القوية، أين إذن حيوتها وقوتها؟ لا شك بأن أعظم إنجاز للكنيسة المشيخية المتحدة هو سفر المزامير البنجابية، من الذى كان وراء هذا العمل العظيم؟ إنه مسلم نصرته الجمعية التنصيرية الكنسية وحولته للعمل مع الكنيسة المشيخية المتحدة.

إن خاتمة كتاب فرديك وماركريت ستوك لا تنصف الإرساليات التنصيرية الأخرى، إنها تحاول ببساطة أن تبرر فكرة الكنيسة المشيخية المتحدة عن «الحركة الشعبية»، وما يفتقد فى هذا الكتاب هو أية إشارة إلى إنجازات الأفراد الذين تحولوا عن الإسلام والهندوسية إلى النصرانية من أمثال عماد الدين وسفدار على والأسقف صبحان والسلطان محمد وبول وغلان ومسيح وطالب الدين وأحمد شاه وإحسان الله وغازى خير الله وبركات الله الذين ينبغى أن نذكرهم الكنيسة الباكستانية بكل فخر، فأين سجلهم؟

و فقط عندما تكتشف الكنيسة الباكستانية نفسها وتفخر بالميراث الذى كاد يصيبه النسيان وتتحول بكل محبة واهتمام إلى تخليص السكان المحليين أبناء البلد حيثئذ سوف تنبعث الكنيسة وتنمو فى وقت واحد، هنالك إشارات ودلائل تلوح فى الأفق، وتبين الإذاعة التنصيرية ومدارس المراسلة والاتحاد الباكستانى للتعليم اللاهوتى عن طريق المراسلة أو الدروس الليلية أن هناك احتمالات طيبة إلا أن الحاجة ما زالت ماسة إلى مساهمة باكستانية أكبر، وبالتعاون مع

(1) Pelican History of the Church (The Church in the Age of Revolution, 5th Volume).

الكنيسة العالمية ينبغي على الكنيسة الباكستانية أن تنفذ «بدمائها وعرقها» مهمة الرب العظيمة! وهذا سيكون دورنا في خطة الرب لخلاص الباكستان، آمين.

خلاصة تعقيبات المشاركين

تعاذلت ردود الفعل لهذه الدراسة بين المديح والنقد، ومن الممتع أن نلاحظ أن هذا التعادل على وجه العموم وليس بصورة شاملة قائم على أسس قومية: فالمشاركون من غير الغربيين كانوا متعاطفين مع الدراسة بينما اعترض الغربيون على بعض جوانبها، أما التعقيبات الإيجابية فقد وصفت الدراسة بأنها «دراسة تثير التحدى وتدعوننا إلى العدول عن موقف واحد متحيز» وأضاف آخرون بأنها «جريئة وفيها الكثير الذى يدعو للتفكير والتأمل»، وقد أعجب القراء بصفة خاصة بوصف المؤلف العمل التنصيرى، واتفقوا معه على أهمية وجود شوق دافق لدى الناس للتحويل إلى النصرانية وإلا فإن سعيها سيكون مجافياً للحقيقة.

من ناحية أخرى شعر بعض القراء بأن دكتور خير الله كان سلبياً جداً مما أضعف آراءه وأفكاره، وبينما يتفقون معه فى أن مهمة التنصير فى الباكستان يجب أن تقع على عاتق الكنيسة الباكستانية إلا أنهم لم يجدوا فى الدراسة ما يبين لهم كيفية إنجاز هذه المهمة، وذكر هؤلاء أن المؤلف «كان سلبياً إزاء الحركات الشعبية والتنصير القبلى وتجاه الإرساليات التنصيرية الأجنبية، كما كان سلبياً حتى فى نظرتة إلى الكنيسة الحالية» ولذلك اختتموا نقدهم قائلين: بينما يطلب منا ترك المهمة للكنيسة القائمة نحاط علماً أيضاً بأن الكنيسة المحلية هى أصلاً هندوسية ليس لديها الاستعداد ولا المقدرة على القيام بمهمة التنصير».

ويرى قراء آخرون أن دكتور خير الله ربما يكون قد أساء فهم مسألة حركة نمو الكنيسة أو أنه قد عرض المسألة بصورة مجحفة على الأقل، وقد فشل بعض القراء فى إدراك بعض جوانب موضوع البحث الذى حاول المؤلف جاهداً السيطرة عليها والعمل على إبرازها، وعلى الرغم من أن هناك آراء وأفكار متباينة حول فعالية البحث إلا أن الجميع متفقون على أن البحث قد قدم مؤشراً مفيداً عن مشاعر وقيم جديدة بالاعتبار، إضافة إلى منطلق له أهميته.

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

لقد استمتعت بكتابة هذا البحث بنفس القدر الذى استمتعت فيه بقراءة ردود المعقّبين التى أثاروها، ولقد كتبت هذا البحث على عجل، وأقولها بكل صراحة إن فكرة تكليفي بكتابة هذا البحث قد جاءت متأخرة ولكنها كانت حكيمة، فالبحث لم يكن جزءاً من الخطة الأصلية للبحوث الأساسية والتى ظهرت قائمة بها فى هامش الورقة التى استخدمت فى معظم مراسلات المؤتمر، وأعتقد أن دون ماكرى، بعدما استلم تعقيباتى الشديدة اللهجة على بعض البحوث الأساسية، شعر بأن آرائى التى تمثل آراء «العالم الثالث» ينبغى سماعها وإن بحثاً يعالج هذا الموضوع سيكون مفيداً إذا أسندت مهمة كتابته لشخص وطنى، والموضوع الذى يجب تغطيته واسع ومتشعب ولذلك اكتفيت بالحديث عن الباكستان فقط، ويحدوني الأمل إلى أن شيئاً مشابهاً قد تقوم به الكنائس المحلية الأخرى لتكملة التصور بأنفسهم، ولم تكن توقعاتى خاطئة لأن بعض الناس من المناطق الأخرى قد تجاوبوا معى.

وقد تلقيت تسعاً وعشرين رسالة، كانت أربع منها تحمل فى طياتها نقداً لاذعاً لوجهة نظرى، وأثنت ست عشرة رسالة على آرائى، أما بقية الرسائل فعلى الرغم من أنها كانت مؤيدة لدراستى إلا أنها ترى «بأن تقويم الوضع عن طريق دراسة متزنة ستكون له قيمته»، وكان معظم المنتقدين لبقين ومتعاطفين، كتب جون ستيلنك: «أحسست لأول مرة أن شخصاً ما يحمل عبئاً ضئيلاً على كتفه لسبب ما» ثم استدرك بلباقة قائلاً: «ولكننى عندما تقدمت فى القراءة وجدت أن بعض التحفظات التى أبدتها عن الحركة الشعبية ومفاهيمها وبخاصة فيما يتعلق بالعمل التنصيرى بين المسلمين تعبر عن أفكارى وآرائى الخاصة».

إن هدفى الشخصى كان تذكير القراء، إننا نحن «الشرقيين» لا نتفق دائماً مع إخواننا الغربيين، وكان هدفى الآخر هو حث النصارى ودفعهم إلى المشاركة فى النقاش الممتع وهذا ما نجحت فيه دون توقع.

وقد أثارت تعليقات المعقبين من المجموعة الأولى في نفسى بعض المشاعر ونبهتني إلى أمور مهمة، وهنا أورد أمثلة منها: «يبدو أنه قد غاب عنى شيء ما إلا أنني أشعر بأن هذه الدراسة أساءت فهم مسألة وطبيعة فكرة التطور الكنسي والحركة الشعبية... كما لم يتبين لى في نهاية الدراسة علاقة عنوانها بمحتواها الحقيقي...» (لا يوجد اسم على التعقيب).

وكتب لارى ويفيلبس يقول: «يبدو لى أن المؤلف لديه فهم خاطئ عن مفهوم ماكفارن عن نمو الكنيسة ومبدأ الحركات الشعبية... واختتم المؤلف دراسته برأى أثار الجدل والوحدة التي دعا إليها من البداية»، وهناك إشارات قيمة عديدة بشأن المشاعر والقيم، وذكر روجر هيدلوند في رسالته: «لقد أصابنى هذا البحث بخيبة الأمل وعلى الرغم من الأحاسيس الطيبة والمشاعر النبيلة التي تضمنها فإنه يبدو في مجمله سلبياً للغاية... أكرر في الختام أن البحث سلبي للغاية، دعونا نبحث عن حل إيجابي أو عن بداية على الأقل...» أما الملاحظات التي أبدتها القراء في المجموعة الثانية فقد «أخجلت تواضعي» بما تضمنته من مدح قال شاف شافير: «في تقديري أن هذا هو أفضل الأبحاث التي قرأتها من هذا النوع»، وقال اى جى ديبى: «أود أن أطرى على المؤلف لهذه الجرأة» وكتب كن نوك: «كل ما يمكننى قوله: أمين، أمين، إنه من المهم جداً ألا نصرف النظر عن المشكلات الإسلامية النصرانية عندما نتحرك بسرعة مع فرديك وماركريت ستوك في حركات شعوبهم...».

كما علق إدوارد بشكوت: «إنها دراسة تثير التحدى حقاً وتدعوننا إلى التخلي عن اتخاذ الموقف الموالي لجانب واحد... إنه من المفيد قراءة دراسة مثل هذه تدعو إلى نظرة غير متحيزة».

كانت رسائل المجموعة الثالثة أكثر فائدة لى، لقد وجد أفراد هذه المجموعة كثيراً من الآراء الموضوعية التي تضمنتها الدراسة إلا أنهم دعوني إلى تصحيح بعض هذه المفاهيم، وإعادة التوازن إلى الموضوعات التي تناولتها... وكنت أتمنى أن أجد متسعاً لعرض هذه الرسائل ولكننى سأقتصر على واحدة فقط، لقد بدأ

كاتبها ثيودور مانيان بما ذكرته في مستهل البحث من أنه إذا رغبتنا في كذب باكستان إلى المسيح فإن هذا يمكن أن يتم من خلال الكنيسة الباكستانية وكتب في رسالته قائلاً:

إنها دراسة قيمة... إنني متأكد من أن الكاتب لا يعنى ذلك... ويركز المؤلف أيضاً على فكرة أنه في سبيل تنفيذ الخطة الإلهية لتخليص باكستان.

علينا أن نخلص الكنيسة الباكستانية نفسها، وهذا أمر صحيح وينبغي أن يقوم تعاون هادف بين المنصرين والكنيسة الملتزمة ليكونوا جميعاً عملاً مشتركاً في حصاد الرب إذا أريد إتمام المهمة، ولا يوجد رأيان صوب الموضوع.

وشكرى الخالص لكل من عقب على هذه الدراسة وإنني مستعد لأي تصحيح إلا أنني لن أعدل وأبدل من افتراضاتي الرئيسية حتى ولو كانت خاطئة إلا أنها أدت غرضها «في بعث تفكير جديد»!

...

المراجع

The Book of Common Prayer

1963 London: S. P.C.K.

Dehqani- Tafti, Hassan

1963 **Design of My World**. London: Lutterworth Press.

Neill. Stephen

1956 **Christian Faith today**. York: Penguins.

Shearer. Roy E.

1966 Wildfire Church Growth in Korea- A Case Study of Missionary Activity In Korea. Grand Rapids: Eerdmans.

Stock, Frederick and Margaret Stock

1975 **People Movements in the Punjab**. South Pasadena: William Carey Library.

Vidler. R.

1961 **The Church in an Age of Revolution**. 5th volume. New York: Penguins.

•••